قصيدة "أخي"

للدكتور حسن على إبراهيم

ماكنت أحسب أنى سوف أفقده ... ولا تخيلت أن الدهر مُرصدُه

خلال عُمرى إذ قد كنت أكبره ... والموت ليس له سن تحدده

مشيئة الله كل الأمر فى يده ... يدبر الكون بالسلطان واحده

مصير كل امرئ مهما علا وسما ... شيءٌ من النور ثم الرمس مرقده

قد سرت أمشى حزيناً فى جنازته ... أمام عينى ماضٍ سوف أسرده

جئت الحياة غريراً لست أعرفها ... وبعد حولٍ تولّى كان مولده

عشنا الطفولة لا همٌّ يشاغلنا ... فالعيش أنعمه والدهر أرغده

كنا شقيقين بل خِلّين لفّهما ... ودٌّ وحبٌّ ولا أضغان تفسده

ما كان يحزننى كم كان يحزنه ... وما سعدت به قد كان يسعده

وحين آن أوان الدرس ألحقنا ... أبى بمدرسة للعلم نقصده

خفت الطريق وقد سرنا لمدرسة ... وأمسكت بيدى من خوفه يدُه

ما كان خُطوا لدرس بل لمصطخب ... فى ذى الحياة ودرس سوف نشهده

جلست فى الدرس جنبى لصق جانبه ... وجاءنا العلم ماضيه ووافده

إلفان فى الدرس والتحصيل لفّهما ... حب الدراسة والتصميم أصلده

دراسة الطب تضنى من يحاولها ... ومن بغى الطب يوماً فهْو يجهده

خضنا الحياة معاً والطب يجمعنا ... كلٌّ له فى طريق الطب منشده

كنا قنوعين فى التطبيب نتقنه ... فمن جرى خلف مال فهو فاقده

(*) القيت القصيدة فى الجلسة الثالثة ليوم الأربعاء ٢٤ / ٢ / ١٩٨٨ م .

وكم لحانا زميل فى مكاسبنا ... كيف التواضع فى كسب نقيِّده

الطب للناس لا للتَّجْرِ منفعة ... ولا المريض بما يبغى تصيده

كان الأَمين على مرضَاه كلِّهم ... عناية الله رب العرش ترشده

خمسون ألفاً من الأَطفال شدهم ... إلى الحياة من الأَرحام مِقْوَده

كان الطبيب وكان العلم مركبه ... فإنه فى مجال العلم رائده

لاقى الأَمَرَّين من حقدٍ ومن حسدٍ ... وكل مرءٍ سما يزداد حُسَّده

اليتم كان قذى عينيه يدفعه ... فإن تفتح باب الفقر يوصده

رعى اليتامى وأَواهم بمنزله ... وقد أُتيح لهم فى العلم جيده

غدوا أَطباء أَو أَرباب هندسة ... وكلهم لجميل الصنع حامده

وكم شكا لى مكر الناس جُلِّهم ... وقوله كان لى دوماً يردده

هذا زميل يرى ودًّا ويطعننى ... وذاك خِلٌّ حقود القلب أَسوده

طبع الخيانة والإنسان قد جمعا ... فلا يغُرك من خِلٍّ تودده

زرعت فاكهة تحلو لأَجنيها ... لما تطيب فإذ بالصاب أَحصده

قدمت خيراً لكل النَّاس مافعلوا ... كل بنكر أَتى كالنصل يغمده

ما كان يحسب سنا سوف يجهده ... من سَار فى ثقل الأَيام تخمده

قد زرته وعيون الأَهل دامعة ... حول الفراش وداء الموت يقعده

قد كان يعلم أَن الحين داهمه ... فالموت نبع وكل الخلق وارده

عليك رحمة ربِّى ياعلىّ فنم ... واللهُ يرعى الذى قد ظل يعبده